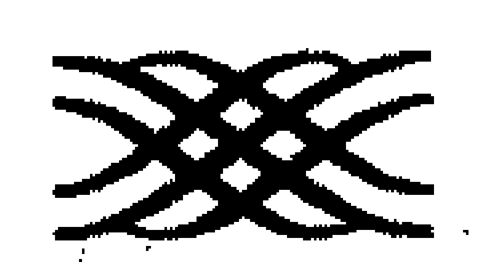
أخبار الثقلاء والمستثقلين

محمد الزمزمي

أبو عبد الله إبراهيم العدوي السلفي

محمد الزمزمي

أخبار الثقلاء والمستثقلين



* الطبعة الأولى : 1407

تـقـديـم

الثقالة منشؤها الغباوة . .

فالثقيل غبي غباوته تمنعه من التفطن لما يتأذى منه الاخرون . . لذلك تجده يحدث ما يتضرع منه العقلاء ـ أو يتسبب فيه ـ وهو مطمئن مرتاح البال !

فلولا الغباوة . . التي طمست عقله، وطمت على شعوره وإحساسه، لما رضي لنفسه بالاتصاف في حال من الأحوال بالثقالة . .

وفي الخبر المأثور : «المؤمن كيس فطن»

وهذا الخبر وإن كان غير ثابت من جهة السند فهو صحيح من جهة المعنى . . فالايمان جدير بأن يكون صاحبه (فطنا) لأن الايمان يعقل صاحبه عن كل مذموم . . . والثقالة من المذموم الذي لا يدركه إلا من كان فطناً بينَ الفطنة.

فينبغي للمؤمن أن يذكي شعوره وينمي إحساسه حتى يصير كيساً فطناً : يعرب له اللحظ عن اللفظ، وتغنيه الكناية عن الايضاح . . . وبذلك يصير «إنساناً» بكل ما في الكلمة من مدلول ومعنى !

ورحم الله من قال : «الكيس العاقل هو (الفطن) المتغافل !» والفطانة ـ كما لا يخفى ـ ضد الغباوة . . .

والثقلاء . .

حفلت كتب الأدب العربي بأخبارهم . . .

وخصص لهم بعض الكتاب كتباً خاصة بهم مثل : الحافظ الخلال : الحسين بن علي الحلواني المتوفى سنة 242 ، الذي كتب فيهم كتاباً على طريقة المحدثين سماه «أخبار الثقلاء»[1] وأبي مزاحم : سباع بن النضر ـ تلميذ علي بن المديني المتوفى سنة 234 ـ الذي سمى كتابه «كتاب الثقلاء» (2) والأديب الشاعر محمد بن إسحاق أبي العنبس الصيرمي المتوفى سنة 275 الذي سمى كتابه «كتاب الثقلاء» (3) والأديب المؤرخ محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى سنة 309 الذي سمى كتابه «ذم الثقلاء» (4) والحافظ أبي نعيم الأصبهاني : أحمد بن عبد الله المتوفى[1] سنة 430 الذي سمى كتابه «كتاب الثقلاء» (5) وجلال الدين السيوطي : عبد الرحمان بن أبي بكر المتوفى[1] سنة 911 الذي جمع الأحاديث والآثار الواردة في الثقلاء في كتاب سماه «إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء» (6).

---

1) الرسالة المستطرفة 57

2) جؤنة العطار (فائدة 337) لابن الصديق

3) معجم الأدباء 18 / 11

4) معجم الأدباء 7 / 105 و 12 / 207

5) جؤنة العطار (فائدة 337)

6) مكتبة جلال الدين السيوطي (رقم 8) وقد رأيته أثناء زياتي للحرمين في السنة الماضية 1401 في فهرس مكتبة المسجد النبوي (تحت رقم العام 147 ـ الخاص 80) وحاولت الاطلاع عليه فلم أفلح ، ثم اتصلت بالمشرف على المسجد النبوي في مكتبه فلم يترك لي جفاؤه ـ سامحه الله ـ التفاهم معه فخرجت من عنده بدون فائدة ولا جدوى !

إلا أن هذه الكتب لم تحظ بالعناية والاهتمام الذي حظي به غيرها من كتب الفكاهة والدعابة : كالبخلاء للجاحظ ، وأخبار الطفيليين للخطيب، وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ، وأخبار الظراف والمتماجنين . . . بل بقيت في طي الاهمال والنسيان ؛ فبقيت المكتبة العربية خالية من كتاب في هذا الموضوع . . فجاء هذا الكتاب ليسد الفراغ الحاصل فيها من جراء ذلك . . .

وهذا الكتاب احتوى على أخبار الثقلاء الواردة في بعض مصادر الأدب العربي وفي كتب السير والتراجم . . لكن الشيق الممتع في هذا الكتاب هو ما ورد في «صفات الثقيل» من الحكايات المضحكة ، والطرائف الظريفة ، والنوادر الغريبة ؛ بالاضافة إلى ما اشتمل عليه من الأحاديث والآثار في الآداب والاخلاق الكريمة الواجب التحلي بها والرذائل القبيحة والنقائص المشينة التي يجب اجتنابها والابتعاد عنها .

وقد أحلت على مصادر تلك الأحاديث والآثار في التعاليق المثبتة في الحاشية ، ونبهت على الآيات وأرقامها وسورها ، وترجمت لبعض الاعلام ؛ فأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك كله وفي سائر الزيادات التي أثبتها في الحاشية .

والله ولي التوفيق

أبي بن محمد الزمزمي

طنجة 1 ذي الحجة 1402

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ونسأله أن يجعلنا من المحبوبين إلى عباده الصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد الحبيب المحبوب الذي يحبه جميع المومنين، وعلى آله وصحابته والتابعين.

أما بعـــد :

فكتابنا هذا . . موضوعه لطيف طريف، يعجب به المطلع الـظريف ؛ ذكـرت فيه أخبـار الثقـلاء والمستثقلين، تسلية للمحزونين، وعصمة لقارئه من أن يكون من الثقلاء المكروهين.

كما قال بعض الحكماء لمن قال له : أنا لا أعرف الشر : «ذلك أجدر لك أن تقع فيه !». وقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ : «كنت أسأل رسول الله ﷺ عن الشر خوفاً من أن أقع فيه»[1].

ونسأل الله التوفيق والإعانة.

طنجة : صفر الخير 1391

محمد الزمزمي

---

1) أخرجه البخاري (9 / 65) في الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم (3 / 1475)

في معنى الثقيل وبيان ما له من الأسماء

الثقيل ـ هو : من يكــون ثقيلا على القلوب من حيث طبعه، أو كلامه، أو عمله، أو منظره.

والمستثقل ـ هو : الذي يكون ثقيلا عند بعض الناس دون آخرين لحسد، أو مزاحمة في صنعة ونحوها . . .

وقد يكون الرجل (مستثقلا) في بعض الأحوال، وإن كان غير ثقيل في الواقع. كما قال إبراهيم بن المهدي : (2)

إنـي كثـرت عليه في زيارتـه والشيء مستثقـل إذا كثـر

❊ ❊ ❊

ويسمى الثقيل (ثقيلا) لثقله على النفوس من حيث المعنى كثقل الصخر على الأجسام من حيث الحس.

قال بشار (3) في بعض الثقلاء يكنى أبا عمران :

ربـما يثـقـل الجـليس وإن كا
ن خفـيفـا في كفـة المـيزان

---

2) هو أخو هارون الرشيد كانت له اليد الطولى في الغناء وحسن المنادمة وكان وافر الفضل فصيحاً شاعراً (162 ـ 224) انظر : وفيات الأعيان 1 / 8

3) بشـار بن برد (ـ 167) أشعـر المـولدين اتهم بالزندقة فضرب فمات. والأبيات مذكورة في العقد 1 / 223 وعيون الأخبار 1 / 310

ولـــقـــد قلت إذ أطـــل على الـــقـــو
م : ثقـيل أربـى على ثهـلان (4)
كيف لم تحمـل الأمـانـة أرض (5)
حملت فوقـهـا أبـا عمـران ؟!

* * *

ويسمى الثقيل بالمغرب (باسلا)

وهذا الاسم وإن لم يكن من أسماء الثقيل في اللغة ؛ فهو يدل على الحموضة الشديدة، والمرارة القبيحة. (6)

قال الثعـالبي (7) في (سر العربية) : «خل حامض ثم ثفـيف ثم حادق ثم باسـل». (8) وفي (الـنـوادر) لأبي زيد الأنصاري : (9) «باسل مر».

---

4) جبل ضخم في نجد يضرب به المثل فيقال : أثقل من ثهلان

5) يشير إلى ما جاء في قوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض، فأبين أن يحملنها . . . . .) 72 سورة الأحزاب

6) قال الأصمعي : الباسل : المر، وقد بسل الرجل يبسل بسالة إذ صار مراً. والباسل ـ أيضا ـ : الكريه المنظر، وإنما قيل للأسد : باسل، لكراهة وجهه وقبحه ـ انظر : أمالي القالي 1 / 103 ـ 168 ـ وفي لسان العرب 1 / 284 : تبسل لي فلان إذا رأيته كريه المنظر، وتبسل وجهه : كرهت مرآته وفظعت، والبسيل : الكريه الوجه.

7) الثعالبي : عبد الملك بن محمد (ـ 429) أديب فاضل وفصيح بليغ ـ انظر : وفيات الأعيان 2 / 290

8) فقه اللغة وسر العربية : 249

9) سعيد بن أوس البصري (ـ 215) أحد أيمة الأدب ـ انظر : وفيات الأعيان 1 / 290

وقد يسمون الباسل (حامضاً) تشبيهاً له بالليمون المعلوم في كونه مكروهاً مستبشعاً.

وفي (تاريخ ابن خلكان) في ترجمة سليمان ابن محمد البغدادي النحوي (10) المعروف بالحامض: إنه قيل له: «الحامض» لأنه كانت له أخلاق شرسة؛ فلقب «الحامض» لذلك. (11)

ويسمى الثقيل في مصر (بارداً).

ولعل المراد أن برودة الطبع تستلزم عدم الشعور بما يكره الناس. (12)

وذلك يجعل «البارد» ثقيلا على الناس.

فصــل:

والثقلاء متفاوتون في الثقل.

فالثقيل بطبعه أقبح من الثقيل بعمله وكلامه؛ والغالب على أهل الشام الثقل في الكلام.. فكلامهم ثقيل كريه.

---

10) الحامض (ـ 305) أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية والشعر وله كتب حسان في الأدب.

11) وفيات الأعيان (1 / 213) لابن خلكان: أحمد بن محمد بن ابراهيم المتوفى سنة 681

12) استعمال كلمة «بارد» في هذا المعنى مجازي؛ كما في «أساس البلاغة» (1 / 96) حيث جاء فيه: «وما أنت إلا ثقيل الظل بارد النسيم». وقد وردت في شعر الزباء بمعنى «الثقل» حيث قالت:

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلاً يحملن أم حديداً؟

أم صرفاناً «بارداً» شديدا

تعني: أم يحملن تمراً ثقيلا شديد الثقل ـ انظر: الكامل (2 / 448) للمبرد ـ وحكى أبو عثمان الزجاجي (ـ 249) أنه دخل على المتوكل فلم يفهم عنه ما أراد ـ قال: فاستبردت فأخرجت (معجم الأدباء 7 / 119) يعني: فاستثقلت فأمر بإخراجي!

ولعــل الغــالب على الانجليز الثقــل الـطبعي ؛ فإنهم مشهورون بالبرودة حتى أن المصريين يضربون المثل بالبرودة الانجليزية.

ويقول الأدباء : «إذا تخفف الثقيل صار طاعونا». ومعنى هذا الكلام أن الثقيل الذي يظن في نفسه أنه خفيف على قلوب الناس أثقل من غيره من الثقلاء وألعن وأضل سبيلا. (13)

فصـــل

فيما يضرب به المثل للثقيل

يقال :

أثقل من يوم القيامة على الكفار.

أثقل من الرقيب على الحبيب.

أثقل من الموت على المعصية.

أثقل من نصف فردة الرحى.

أثقل من الرّصاص.

أثقل من الحمى.

---

13) وفي هذا المعنى قال أبو بكر بن مجاهد ـ وكان شيخ القراء في وقته ـ : الناس أربعة

ـ مليح يتبغض لملاحته فيحتمل.

ـ وبغيض يتملح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له.

ـ وبغيض يتبغض فيعذر لأنه طبعه.

ـ ومليح يتملح فتلك الحياة الطيبة.

انظر : معجم الأدباء (5 / 72) لياقوت الحموي

أثقل من البرذون وأضر من الجرذون.
أثقل من الجبل. (14)

فصل

قال ابن حبان (15) في (روضة العقلاء):

«الاستثقال من الناس يكون سببه شيأين: أحدهما: مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم، لأن من تعدى حدود الله أبغضه الله، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة، ثم يوضع له البغض في الأرض... فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه.

والسبب الآخر: استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه، فإذا كان كذلك استحق الاستثقال منهم. وأنشدني الكريزي:

---

14) لعل هذا المثل هو الذي جعل عبد المومن الموحدي يسكت الشاعر ابن سيدة (اللص) لما أنشده:

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل   وانظر إلى الجبل الراسي على الجبل

وقال له: لقد أثقلتنا يا رجل، وأمر به فأجلس! - انظر: المعجب 217 للمراكشي.

15) محمد بن حبان البستي (- 354) صاحب «الصحيح» له دراية بالطب والنجوم وفنون أخرى... قال الحاكم: وكان من عقلاء الرجال - انظر: طبقات الحفاظ (رقم 879)

ليتني كنت ساعة ملك المو
ت فأفني الثقال حتى يبيدوا
ولو أنني وأنت في جنة الخلـ
د لقلت : الخروج منها أريد»(16)

فإبن حبان جعل المتعدي لحدود الله من الثقلاء، ورأيه رأي سديد تشهد له سيرة السلف، مع المبتدعة والظلمة ؛ فإنهم كانوا يقاطعونهم، ويهربون منهم كما يهرب الناس من الثقيل .(17)

وما ذكره من بغض الله والملائكة للمتعدي لحدود الله ورد به الحديث النبوي . (18)

---

16) روضة العقلاء : 66

17) يعلم ذلك من مراجعة طبقات ابن سعد، وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسير أعلام النبلاء للذهبي . . . وللوالد رسالة في الموضوع، وهي : إعلام المسلمين بوجوب مقاطعة المبتدعين والفجار والظالمين.

18) ولفظه : «إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل. ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فيبغضونه ؛ ثم يوضع له البغضاء في الأرض» رواه مسلم ـ رقم 2637 . وانظر تفسير قول الله ـ عز وجل ـ : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان وداً) 96 سورة مريم، فإن له صلة بالموضوع.

فصل

في صفات الثقيل

1) من صفة الثقيل : الفضول وقلة الحياء.

ولعل الثقيل ما كان ثقيلا إلا بهذه الصفة الكريهة. فبالفضول يتدخل فيما لا ينبغي له أن يدخل فيه من شؤون الناس فيثقل عليهم. وبقلة الحياء يجتريء عليهم بما يؤذيهم فيبغضونه ويبتعدون منه.

وقد قال رسول الله ﷺ : «إن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء ؛ فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا» رواه ابن ماجه. (19)

المقت ـ هو : البغض.

2) ومن صفة الثقيل : السؤال عما لا يعنيه.

حكي أن ثقيلا دخل على بعضهم ؛ فرأى عنده قصعة مغطاة بمنديل ؛ فسأله عما فيها ؟ فقال له الرجل : ولماذا غطيتها ؟!

وفي الحديث : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذي. (20)

---

19) سنن ابن ماجه 4054 وفي سنده سعيد بن سنان وهو متروك

20) رواه الترمذي 2317 وابن ماجه 3976 وابن عدي في «الكامل» 4 / 1588 والخطيب في التاريخ 4 / 309 ـ 5 / 172 ـ 12 / 64 عن أبي هريرة ـ مرفوعا ـ ورواه مالك (2 / 903) عن علي بن حسين مرسلا.

3) ومن صفة الثقيل : أنه إذا لقي الرجل سأله : من أين جاء ؟ وإلى أي محل هو ذاهب ؟

فإذا قال له : ذاهب لقضاء حاجة ؛ سأله عنها : ما هي ؟ ! فيحرجه بسؤاله، ويحوجه إلى الكذب، أو إلى ذكر ما لا يحب ذكره من أمره. (21)

4) ومن صفة الثقيل : أنه يسألك عن شؤونك الخاصة ؛ كنزاعك مع أهلك، وكعدد ما تقبضه من راتب وظيفتك وكراء أملاكك، وكقضيتك في المحكمة التي لها مسيس بعرضك أو شرفك أو أولادك . . . .

وفي الحديث : لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته ؟ رواه أبو داود. (22)

نهى رسول الله ﷺ عن سؤال الرجل عن نزاعه مع أهله، لأن ذلك يحرجه ويشق عليه، ويجعله يستثقل السائل عن ذلك.

---

21) وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (1158) عن مجاهد قال : «كان يكره أن يسأل الرجل أخاه : من أين جئت ؟ وأين تذهب ؟». وحكى الأعمش عن مجمع بن يسار أنه نزل عليه ضيف فما سأله : من أين جئت ؟ وما جاء بك ؟ حتى خرج من عنده ـ انظر : صفة الصفوة 3 / 108

22) رواه أبو داود 1 / 495 في النكاح : باب في ضرب النساء، وكذا أحمد 1 / 20 وابن ماجه 1986 والحاكم في المستدرك 4 / 175 وأبو داود في مسنده (١٥) وأقر الذهبي الحاكم على صحته، لكن في سنده أبو عوانة الوضاح بن عبد الله البزاز وهو يغلط كثيراً في روايته إذا حدث من حفظه، وعبد الرحمن المسلي وهو مجهول.

5) ومن صفة الثقيل : التأخر عن المواعيد التي لا مناص للناس المرتبطين به من انتظاره عندها : كوقت الأكل، (23) ووقت السفر، وما أشبه ذلك . . .

ويقول المثل العامي : «ثلاثة تهلك وربما قتلت : الانتظار عند الطعام، والرسول البطيء، والمصباح الذي لا يضيء» .

ومن المعلوم أن الشارع أمر بتقديم الأكل على الصلاة (24) . . . وذلك لأجل ما في تأخير الأكل من التشويش وفتنة البال .

وكان بعض الثقلاء يخطب بالزاوية الصديقية ؛ (25) فكان يتأخر كثيرا حتى يكثر الناس الالتفات، ثم يدخل وهو يضحك !! فيكون ضحكه بلية أخرى زائدة على بلية تأخره وما نشأ عنها من الثقل . (26)

---

23) وقد عد الألوسي المتأخر عن مواعيد الدعوة إلى طعام من الثقلاء، فانظره فإنه أطنب الكلام فيه 22 / 71 روح المعاني .

24) أخرجه البخاري ومسلم 1 / 392 ولفظه : «إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء»، و«لا صلاة بحضرة الطعام» .

25) الزاوية الصديقية بطنجة أسسها الجد العالم المربي الشيخ محمد بن الصديق سنة 1327 وكان لها دور اجتماعي وثقافي وسياسي مهم قبل وبعد عهد الحماية، ثم تحولت إلى شبه مسجد سنة 1341 حيث أنشئت فيها خطبة الجمعة ولم تعد بذلك لها صبغة الزاوية على اصطلاح الصوفية، وتعاقب على الخطابة بها جماعة من الخطباء كان منهم الوالد وذلك في السبعينات والثمانينات حيث نالت شهرة رائعة بسبب الخطب الهادفة إلى تقويم الانحراف الاجتماعي والديني والسياسي والأخلاقي .

26) كان المرحوم الأستاذ ناصر الكتاني يكاد يجن من تصرفات هذا الخطيب، فكان رحمه الله يقول : أنا لا أستطيع أن أنظر إليه ساعة دخوله إلى الزاوية !!

6) ومن صفة الثقيل : كثرة الضحك بحضرة الناس الذين ينقبضون من ضحكه، ويظنون أنه يضحك عليهم. (27)

7) ومن صفة الثقيل : التنبه لما يتغافل عنه العقلاء مروءة وحياء وحشمة.

كأن يعثر أمامه أحد فيقع على وجهه ؛ فإنه لا يتغافل عنه ويتظاهر بعدم شعوره به ؛ بل يضحك، ويضحك . . . حتى يخجل ذلك الرجل، ويتمنى لو أنَ الأرض خسفت به.

وكأن ينام أحد بمحضره فيضرط في نومه ؛ فإنه يضحك ويتجاهر بالضحك حتى يفضحه ويخجله. (28)

---

27) وقد أخرج ابن المبارك في الزهد (رقم 283) عن عمران الكوفي قال : قال عيسى بن مريم للحواريين : اعلموا أن فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عجب، والصبحة من غير سهر، وأخرجه أبو نعيم في الحلية 5 / 73 عن خلف بن حوشب. وأخرج أحمد في الزهد 183 عن معاذ بن جبل قال : ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.

28) كما وقع للصاحب ابن عباد فإنه كان في مجلس فنعس، وأخذ بعض الحاضرين يقرأ : (والصافات . . .) فاتفق أن رجلا نعس أيضا وضرط ضرطة منكرة، فانتبه الصاحب وقال : ياأصحابنا نمنا على (والصافات) وانتبهنا على (والمرسلات . . .) ! - انظر : معجم الأدباء 6 / 217 - وذكر ياقوت أن سبب مفارقة بديع الزمان الهمذاني (- 398) حضرة الصاحب ابن عباد أنه كان في مجلسه فخرجت منه ريح ، فقال الصاحب : ماهذا ؟ فقال البديع : هذا صرير التخت، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت، فأورثه ذلك خجلا كان سبب مفارقته إياه ووروده إلى خراسان - معجم الأدباء 2 / 184 -

وقد قال بعض الشعراء في هذا المعنى :

إذا نامت العينان من متيقظ
فلا شك ترتخي سفاريج فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر نائما
ومن كان ذا جهل ففي جوف لحيته

وفي الحديث : نهى رسول الله ﷺ عن الضحك من الضرطة، وقال : «لم يضحك أحدكم مما يفعل ؟» رواه البخاري . (29)

وذكروا أن حاتما (الأصم) الصوفي المشهور لم يكن أصم (30)وإنما اشتهر بهذا الاسم بسبب امرأة جاءت تسأله عن شيء ؛ فضرطت أمامه ! فقال لها : ارفعي صوتك فإني لا أسمع، ففرحت المرأة حيث لم يسمعها . وإنما تظاهر بالصمم ليلا تخجل مما وقع لها !

ولا مفهوم لما ذكر . . . بل كل ما يقع للناس من الأمور المخجلة ينبغي للعاقل أن يتغافل عنها(31)، وإلا كان ثقيلا على قلوب الناس .

---

29) رواه البخاري 6 / 210 في التفسير : سورة والشمس وضحاها، وكذا مسلم 4 / 2191 وأحمد 4 / 17 والترمذي 5 / 440 والطبراني في المعجم الصغير 1 / 232 .

30) أبو عبد الرحمان حاتم بن علوان البلخي من قدماء المشاييخ بخراسان. والقصة المذكورة ذكرها القشيري في الرسالة ص 16

31) كما قال الشافعي : الكيس العاقل هو الفطن المتغافل . . .

وفي هذا يقول ابن الوردي (32) :

وتغافل عن أمور إنه لم يفز بالحمد إلا من غفل

8) ومن صفة الثقيل : انه إذا دعي إلى إكرام أتى برجل آخر معه.

وقد يتفق أن يكون ذلك الرجل . . . من معارف صاحب الاكرام ؛ فيخجل صاحب الاكرام منه حيث لم يستدعه إلى إكرامه، وتقع بينهما مشكلة ببركة الثقيل وفضوله.

ولهذا قال بكر المزني(33) : «أحوج الناس إلى لطمة من دعي إلى وليمة ؛ فذهب بآخر معه».

9) ومن صفة الثقيل : النظر إلى الأماكن التي يكره الناس النظر إليها.

كالنوافذ، وسطح الدار، وداخل المنزل، وما إلى ذلك من الأماكن التي لا ينظر إليها إلا قليل الأدب قليل الحياء. 34

---

32) أبو حفص عمر بن مظفر الحلبي (ـ 749) اشتهر بلاميته المشتملة على المواعظ والحكم، وله منظومة في الفقه، وتصانيف حميدة.

33) هو بكر بن عبد الله المزني المتوفى سنة 108

34) في الأدب المفرد (رقم 1092) عن عمر قال : من ملأ عينه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق. وفيه ـ أيضا ـ (رقم 1090) أن رجلا استأذن على حذيفة فاطلع وقال : أدخل . . . ؟ قال حذيفة : أما عينك فقد دخلت وأما أستك فلم تدخل! وأخرج أحمد في (الزهد ـ 175) عن أبي عاصم العباداني قال : قال رجل لداود الطائي : لو أمرت بها في سقف البيت من العنكبوت فنظف، فقال له : أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر، ثم قال داود الطائي : نبئت أن مجاهداً كان (أي العنكبوت) في داره عليه ثلاثين سنة لم يشعر بها!

وفي الحديث : «إنما جعل الإذن من أجل النظر»(35)

10) ومن صفة الثقيل : الجلوس في الأماكن التي يتأذى الناس بجلوسه فيها.

كباب الحمام، وباب البقال، وباب الفران، وقبالة أبواب منازل الناس من الجيران وغيرهم . . .

فإذا خرجت امرأة من الحمام تأملها، وتأمل مشيتها، وعرف أصلها وفصلها . . . وإذا اشترى أحد من البقال شيئاً فحصه بنظره الثقيل !

وفي الحديث : «إياكم والجلوس في الطرقات ؛ فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه ؛ غض البصر، وكف الأذى . . .» رواه مسلم.(36)

11) ومن صفة الثقيل : أنه إذا دخل دار قوم جلس في المكان المقابل لوسط الدار.

فلا تمر امرأة في وسط الدار إلا رآها، ورأى ما بيدها من طعام أو إناء وعرف ما هناك.

ولهذا قال بكر المزني : «أحوج الناس إلى لطمتين : رجل دخل دار قوم ؛ فقيل له : إجلس هاهنا . . . فقال : لا بل هاهنا . . .».(37)

---

35) رواه البخاري 8 / 66 ومسلم 3 / 1698 والترمذي 2708

36) رواه مسلم 3 / 1675 وكذا البخاري 8 / 63 وأبو داود 2 / 555 والترمذي 2726 والدارمي 2 / 282

37) انظر ترتيب المدارك 2 / 145 . وفيه : أن ثقيلا استأذن على مالك فأذن له، وكان

وإنما استحق هذا الثقيل لطمتين لأن صاحب الدار يجلس الضيف في المكان المستور الذي لا يمنع جلوسه فيه أهل الدار من المرور في وسط الدار. فإذا لم يجلس الضيف فيه كان جلوسه في المكان الذي يختاره ضرارا على أهل الدار.

12) ومن صفة الثقيل : أنه يطيل الجلوس عند المريض إذا عاده.

ولا يشعر بأن المريض قد يكون محتاجا إلى قضاء الحاجة، أو أن مرضه يزيد بالكلام.

ودخل جماعة من الثقلاء على الامام الأعمش (38) يعودونه فأطالوا الجلوس عنده ؛ فقام وقال لهم : قد شفى الله المريض، فقوموا إلى منازلكم !

ودخل قوم على سري (39) ـ وهو مريض ـ فأطالوا

لمالك بطيخة في ناحية، فرمى بمنديل عليها، فدخل الثقيل فقال له مالك : هاهنا، هاهنا . . . فأبى أن يقعد إلا على المنديل، فتفسخت تحته البطيخة ! فقال مالك : يرحمك الله، كنا أبصر بعوار منزلنا منك !

38) سليمان بن مهران الأعمش كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح توفي سنة 148

39) السري بن المغلس السقطي ـ خال الجنيد وصاحب «معروف الكرخي» ـ كان من العباد المجتهدين والمشايخ المرموقين توفي ببغداد سنة 257

الجلوس ثم قالوا : إن رأيت أن تدعو لنا ؛ فقال : اللهم علمنا أدب عيادة المريض !

13) ومن صفته : كثرة التردد على معارفه، وزيارة أصحابه حتى يملوا منه ويضجروا. (40)

وفي الحديث : «زر غباً تزدد حباً». (41)

14) ومن صفة الثقيل : الزيارة في الأوقات التي لا ينبغي للعاقل أن يزور فيها الناس.

---

40) ذكر بن خلكان في «وفيات الأعيان» (1 / 62) أن أزهر بن سعد الباهلي كان يصحب أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة ؛ فلما وليها جاءه مهنئاً فحجبه فترصد له ودخل عليه، فقال له المنصور : ماجاء بك ؟ قال : جئت مهنئا بالأمر، فقال : أعطوه ألف دينار، وأمره أن لا يعود إليه. فمضى وعاد من قابل فحجبه ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فقال له : ماجاء بك ؟ فقال له : سمعت أنك مرضت فجئتك عائداً ؛ فأعطاه ألف دينار، وأمره أن لا يعود. فمضى وعاد في قابل، فقال له : ماجاء بك ؟ فقال : سمعت منك دعاء مستجاباً فجئت لأتعلمه منك ؛ فقال له : ياهذا .. إنه غير مستجاب ؛ إني في كل سنة أدعو الله به أن لا تأتيني وأنت تأتي ! وفي كثرة الزيارة تقول علية بنتالمهدي العباسية :

إني كثرت عليه في زيارته ... فملَّ والشيء مملول إذا كثرا

انظر : فوات الوفيات 3 / 124.

41) رواه الطبراني في المعجم الصغير 1 / 1.7 وأبو نعيم في تاريخ أصبهان 1 / 143 و 2 / 115 ـ 185 ـ 217 والبزار كما في كشف الأستار 1922 وابن قتيبة في عيون الأخبار 3 / 24

كوقت الأكـل، ووقت النـوم، ووقت الخروج إلى صلاة الجمعة، ووقت الشغل المهم الذي يثقل على المزور زيارة الزائرين له فيه، وما أشبه ذلك من الأوقات . . .(42)

وحدثني بعضهم(43): أنه ذهب مع ثقيل إلى زيارة وزير الأفغــان بالقـاهـرة في وقت الغـذاء ؛ قال : فجلسنـا وأطلنـا الجلوس، فجـاء ابن الـوزير وكلمـه بالافغانية ثم ذهب. فلما خرجنـا قلت لذلك الثقيل : لا ندري ماذا قال له ولده باللغة الأفغانية ؟ فقال لي : قال له : هل نأتي لهؤلاء بالغذاء ؟ فقال له : لا . . . . !

فقد شعر هذا الثقيل بثقله الذي جعل الوزير يمنعه من الغذاء عنده.

15) ومن صفة الثقيل : مواجهة الناس بالكلام المؤذي، الذي يجرح عواطفهم ويكسر قلوبهم.

كقوله للمريض : هذا المرض الذي أصابك به مات فلان . . . . مرض به شهراً، ثم مات. (44)

---

42) وقد قال ابراهيم الصولي في الزيارة في الأوقات غير المناسبة : أتاني فلان في وقت أستثقل فيه لحظة الفرح ـ انظر : معجم الأدباء 1 / 186 .

43) هو العلامة المحدث أبو العباس أحمد بن الصديق المتوفى بالقاهرة سنة 1380 .

44) كما وقع للإمام رقبة بن مصقلة الكوفي (ـ 128) مع رجل عاده فنعى رجالاً اعتلوا مثل علته ؛ فقال له رقبة : إذا دخلت على مريض فلا تنع إليه الموتى، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا ! ـ انظر : عيون الأخبار 3 / 44 .

وكقوله للتاجر الذي اشترى سلعة : قد خسر أناس في هذه السلعة !

وكقوله لمن له قضية في المحكمة : قضيتك صعبة تلزمك فيها عقوبة كبيرة !

وكقولـه للرجـل بحضرة الناس : لقيت ولدك مع إمرأة فاسدة !

وفي الحديث : «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا» رواه البخاري .(45)

وفي الحديث : «إذا دخلتم على المريض ؛ فنفسوا له في الأجل» . (46)

16) ومن صفة الثقيل : أنه يصافح الناس ويده مبلولة بالماء، أو بالعرق الذي يتأذى الناس به، وتشمئز نفوسهم من مماسته .

وأخبرني بعضهم أن رجلا عطس في يديه ثم صافحه وأثر العطاس في يده .

ومنهم : من يصافحك وظهر يده مبلولة بالمخاط فتلوث شفتيك بالأذى وأنت لا تشعر !!

---

45) رواه البخاري 1 / 27) في العلم : باب ماكان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، ومسلم 1732 .

46) رواه الترمذي (2087) وابن ماجه (1438) والحديث ضعيف لكن معناه صحيح لما فيه من رفع معنويات العليل «وهذا نوع شريف من أنواع العلاج» كما قال ابن القيم .

17) ومن صفة الثقيل : أنه يعطس بمحضر الناس ولا يغطي وجهه : بمنديل أو يديه ؛ فيرش الناس ببزاقه، ويؤذيهم برائحة أنفاسه، ونكهة بلغامه.

وفي الحديث : «كان رسول الله ﷺ إذا عطس غض صوته وغطى وجهه»(47).

18) ومن صفة الثقيل : أنه يسعل وهو يأكل مع الناس، ولا يخطر على باله أن يغطي فمه، أو يحول وجهه إلى جهة أخرى تفادياً من أن يخرج من فمه شيء مع السعال، فيقع في الطعام، أو على ثياب الآكلين.

وقد أخبرني بعضهم : أنه كان يأكل مع جماعة فسعل بعض الحاضرين ؛ فخرج من فمه مخاط وقع على ثياب هذا المخبر فظنه(48)من الطعام الذي يأكلونه ؛ فلما وضعه في فمه تبين أنه مخاط ممزوج بطعام الكسكوس!

19) ومن صفة الثقيل : أنه إذا كان مع الناس تناول ما يكون قدام غيره من الآكلين من اللحم، ومن كل ما يعجبه من الطعام ... ولم يبال بأحد ولا بانتقاد أحد ؛ لأنه - كما يقول المصريون - : بارد لا شعور عنده!

---

47) رواه أبوداود (2 / 602) والترمذي 2745.

48) بصلاً لأن الطعام كان عليه البصل والزبيب

وقد قال رسول الله ﷺ : «كل مما يليك» رواه مسلم . 49

20) ومن صفة الثقيل : أنه يتكلم ـ وهو يأكل مع الناس ـ بالكلام الذي يفسد عليهم طعامهم ؛ كوصفه للمرض الذي يكون مصحوباً بنزف الدم وخروج الصديد من المريض، وكذلك الميت الـذي غفل الناس عنه حتى خرج منه الدود، وكانت له رائحة، وما أشبه هذا من الكلام البارد . . . !

وحكوا أن ثقيلا وصف دواء لرجل ؛ فقال : خذ من كذا . . . مقدار «أذن القطة»، وصب عليه مقدار «محجمة» من الماء، ثم حركه حتى يصير «كالمخاط» واشربه ! فقال له المريض : كرهت إلي الدواء !! 50

21) ومن صفة الثقيل : أنه في حال أكله مع الناس لا يتوقى ما يكرهونه، ويكون سبباً لهم في النفور من الطعام :

كنفضه يده في قصعة الطعام، ومسحه أنفه بالمنديل الذي يمسحون به أيديهم، وشربه من الغراف الكبير الذي يصبون منه في أكوابهم، ومسحه أسنانه بمنديلهم .

---

49) رواه البخاري 7 / 88 ومسلم 2022 وأبوداود 2 / 314 والطبراني في المعجم الصغير 2 / 14

50) وذكر الجاحظ في «البيان والتبيين» (3 / 313) أن محمد بن الجهم قال لشعيب بن زرارة : هذا الدواء الذي جئت به . . قدر كم آخذ منه ؟ قال ابن زرارة : قدر بعرة !

22) ومن صفة الثقيل : أنه إذا استدعى الناس إلى إكرامه تأخر بتقديم الطعام إليهم تأخراً عظيمًا يقلقهم به، ويودون لو لم يكونوا من المكرمين عنده.

ويحكون أن ثقيلا استدعى رجلا وتأخر عنه بالطعام مدة ؛ ثم جاءه بالخبز البارد والزبيب ! فقال له الضيف : الخبز بارد عندك من البارحة، والزبيب له أعوام . . . فلماذا هذا التأخر ؟!

23) ومن صفة الثقيل : أنه إذا كان عند صديق له في داره أو في مكتبه، فقام صديقه وتركه في المحل وحده، أخذ يفتش ويبحث في أوراق صديقه الموضوعة على المائدة، ويفتش خطاباته ويقرأ ما فيها (51)، وربما قام إلى ما في المحل من خزانة ونحوها . . ففتش وبحث عما فيها.

ويحكون أن قوماً من العميان دخلوا دار بعض أصحابهم، فأكرمهم ورش عليهم من «ماء الزهر» من قارورة كانت عنده ؛ ثم وضعها في خزانة في المحل وخرج ؛ فقام ثقيل منهم (52) ففتح الخزانة ليأخذ قارورة «ماء الزهر» فأخطأ وأخذ قارورة

---

51) وفي الحديث : «من نظر في كتاب غيره بغير إذنه فكأنما ينظر في النار» رواه أبو داود (1 / 342) في باب الدعاء، وقال ابن القطان في «أحكام النظر» (5 ـ أ) : إسناده مجهول.

52) قال الجاحظ : أجمع الناس على أربع : أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى، ولا أبغض من أعور، ولا أخف روحاً من أحول، ولا أقود من أحدب.
(معجم الأدباء 16/ 84).

«المدادا» ففتحها وصار يرش منها على رفقائه ويتمسح منها.

فلما دخل صاحب المنزل وجدهم عبرة للناظرين، وضحكة للضاحكين، بسبب فضولهم الثقيل.

24) ومن صفة الثقيل : أنه إذا رأى رجلين يتحدثان أنصت واستمع إلى حديثهما وربما ترك شغله ووقف يستمع إليهما.

وقد تبلغ الوقاحة ببعضهم فيتجاهر بالاستماع إلى المتحدثين ولا يستحيي منهما، ولا يهمه شعورهما بفضوله واستماعه إلى حديثهما.

وقد يكون في الصلاة فيترك الاهتمام بصلاته ويقبل على الاستماع إلى من يتحدث من الناس!

وفي الحديث : «من استمع إلى حديث قوم ؛ وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك (53) يوم القيامة» متفق عليه.
54

25) ومن صفة الثقيل : كثرة الكلام الذي لا فائدة فيه

---

53) الآنك ـ بضم النون ـ : الرصاص.

54) رواه البخاري 9 / 54 في التعبير : باب من كذب في حلمه، وأبوداود 2 / 601 والترمذي 1751 والدرامي 2 / 298

ولا طائل تحته . (55)

وحكى لي بعض الاخوان أنه رأى ثقيلا في الحافلة يتحدث مع رجل . . لاغرض له في حديثه ولا في كلامه ـ قال ـ : فلم يجبه إلا مرة أو مرتين ثم تركه يتكلم وحده !

وحدثني بعضهم : انه كان في جنازة بالقاهرة فرأى رجلاً جالساً بين ثقيلين ثرثارين لا يفتران عن الكلام ؛ فضاق ذلك الرجل من كثرة كلام ذينك الثقيلين وثرثرتها ؛ فصاح قائلا : «ياخوتي . . ؟! » مستغيثاً من كثرة كلام الثقيلين .

ويصف المصريون الحجام بالبرودة . . ولعل ذلك لكثرة كلامه وثرثرته .

26) ومن صفة الثقيل : انه يطيل الجلوس عند من

---

55) وفي الأثر : «لاخير في فضول الكلام» رواه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم 1307) . وكان إياس ابن معاوية كثير الكلام ولهذا لما قيل له : ماعيبك يا أبا واثلة ؟ قال : الإكثار . . ثم قال : أما والله مع ذلك ما تدبر رجل عاقل قولي إلا وجد فيه (بعض) ماينفعه ! وحكى وكيع أنه قعد وخالد بن صفوان مقعداً فقال إياس : يا أبا صفوان أنا وأنت ينبغي أن لا نجتمع ؛ قال : أنت لا تريد أن تسكت وأنا لا أريد أن أسمع ! ـ انظر : أخبار القضاة 1 / 347 . وقال ابن أبي أمية : شهدت الرقاشي في مجلس ـ وكان إلى بغيضا مقيتا ـ فأنشدت :

فقال : اقترح كل ما تشتهي فقلت : اقترحت عليك السكوتا

ـ انظر 1 / 379 البيان والتبيين .

يزورهم من الأصدقاء والأقارب حتى يملوا ويضجروا . (56)

وحكوا أن بعضهم زار أحد أصدقائه ولبث عنده شهوراً ؛ فقال له صديقه - صاحب الدار - : ألا تظن أن عائلتك قد اشتاقت إليك ؟ ! فقال الثقيل : أعرف ذلك . . وقد كتبت إليهم أطلب منهم أن يقدموا إليَّ - هنا - !! 57

وذكروا أن ثقيلا كان ضيفا على بعض معارفه ؛ فرأى أن يحتال عليه ليطرده عنه، فقال لامرأته : سأعمل لهذا الضيف حيلة لأطرده بها من الدار ؛ فبمجرد ما تراه قد خرج من الدار

---

56) وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (رقم 743) في باب لا يقيم عنده حتى يحرجه، عن أبي شريح الكلبي أن رسول الله ﷺ قال : «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة ؛ والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة. ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه ! ».

57) القصة ذكرها الكاتب اللبناني جوفر حداد في مقاله (الثقلاء) بمجلة «هنا لندن» عدد 262 السنة الحادية عشرة. وذكر الحافظ في «تهذيب التهذيب» (8 / 352) نقلا عن عبد الرزاق عن قتادة أنه أقام عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام ؛ فقال له في اليوم الثالث (كذا) : ارتحل ياأعمى فقد أنزفتني ! وفي رسالة لبديع الزمان الهمداني في الضيف الذي تطول إقامته قال فيها : «الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه، وإذا سكن متنه تحرك نتنه ؛ وكذلك الضيف يسمج لقاؤه، إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله إذا انتهى محله، والسلام» - انظر : وفيات الاعيان 1 / 39 - وأخرج الصيرمي في «أخبار أبي حنيفة» (ص 10) عن أبي حنيفة أنه قال : مايعرف الفقه وقدره، وقدر أهله، من كان ثقيل المجالسة . وكان يقول :

عدمنا ثقال الناس في كل بلدة ... فيارب لا تغفر لكل ثقيل

فسدي الباب ليلا يرجع . . فلما كان الغد في الصباح قال صاحب الدار للضيف الثقيل : أتقدر أن تثب كما أثب أنا . . ؟ ثم وثب وثبة إلى الشارع ليتبعه الضيف ؛ لكن الضيف اللئيم لم يتبعه، بل وثب وثبة إلى داخل الدار !

فقال له صاحب الدار : مالك لم تتبعني في الوثوب إلى الشارع ؟ فقال له الضيف : ذراعان في داخل الدار أحسن من عشرة أذرع في الشارع !

27)ومن صفة الثقيل : كثرة السؤال عما لا فائدة فيه ولا طائل

وحكوا أن بعض الشرفاء البقاليين (58) دخل على بعض اصحابه، وجعل يسأله عما يراه في المنزل من المتاع والحوائج . . . إلى أن سأله عن الصمغ ـ المعروف بالرجينة ـ : من أي شيء يصنع ؟ فقال له ذلك الرجل ـ الذي ضاق من كثرة سؤاله ـ : تصنع الرجينة من الشرفاء البقاليين !!

28) ومن صفة الثقيل : أنه إذا كان نائمًا مع جماعة فقام من الليل ليشرب أو يبول . . أحدث ضجة تزعج النائمين، ويذهب بها نومهم.

وحكى يحيى بن أكثم (59) أنه كان نائمًا مع المامون ـ

---

58) أسرة كبيرة ذات فروع متعددة منتشرة في شمال المغرب . . يغلب على أفرادها البله ؛ وجدهم الأعلى هو «سيدي علال الحاج» دفين قبيلة غزاوة الذي كان في القرن العاشر الهجري ـ انظر : ترجمته في «دوحة الناشر» (رقم 25)

59) القاضي المشهور كان بصيراً بالأحكام إماماً في عدة فنون . . مات سنة 242 .

الخليفة العباسي المشهور ـ (60) فقام المامون من الليل ليشرب ـ قال يحيى : فرأيتـه يمشي على رؤوس أصـابعـه لِيَلّا يستيقظ النائمون . . (61) ثم أخذه سعال فجعل يغطي فمه بثوبه لِيَلّا يسمع منه صوت يزعج النائمين !

فهكذا يكون الظرفاء .

29) ومن صفة الثقيل : أنه لا يبالي بإذاية الجالسين معه بالرائحة الكريهة التي يشمونها منه . (62)

وحكى لي بعضهم أن امرأة دخلت على النساء في إكرام ، فضـج أهل المجلس من رائحة جواربها التي كانت تشبه رائحة الميتة ؛ هذا وهي آمنة مطمئنة لا تهتز منها شعرة !

والعجب أن تلك المرأة كانت من عائلة مثرية ثراء عظيمًا

---

60) كان المأمون من العلماء مشاركاً في علوم كثيرة، وهو الذي أثار مسألة خلق القرآن مات سنة 218 .

61) انظر : مقدمة ابن خلدون 19

62) ذكر ياقوت في «معجم الأدباء» (1 / 267) أن نفطويهْ كان ـ مع كونه من أعيان العلماء ـ غير مكترث بإصلاح نفسه فكان يفرط به الصنان فلا يغيره ؛ فحضر يوماً فجلس الوزير حامد بن العباس فتأذى هو وجلساؤه بكثرة صناه، فقال حامد : ياغلام أحضرنا مرتكاً (عطر الغالية) فجاء به فبدأ الوزير بنفسه فتمرتك، وأداره على الجلساء فتمرتكوا ؛ وفطنوا ماأراد نفطويه وأنه أراد منه أن يتمرتك فيزول صنانه من غير أن يجبهه بما يكره ؛ فقال نفطويه : لاحاجة بي إليه، فراجعه فأبى ! فاحتد الوزير واغتاظ وقال له : ياعاض كذا من أمه، إنما تمرتكنا جميعاً لتأذينا بصنانك . . قم ؛ لاأقام الله لك وزنا ؛ ثم قال : أخرجوه عني !

ومن المتفرنجات العاريات !

وكان بعضهم يتجشأ على الناس ولا يشعر بما يحصل لهم من الأذى بذلك . . !

وورد أن رجلا تجشأ بمحضر النبي ﷺ فقال له : «كف عنا جشاءك» . (63)

30)ومن صفة الثقيل : أنه يدخل على الناس بغتة بدون إعلام ولا استئذان . . فلا يشعر صاحب المكان به حتى يكون معه ؛ فإن كان مكشوف العورة رآه كذلك ، وإن كان على حالة سيئة اطلع عليها .

وحكى لي بعضهم أن ثقيلا دخل على والديه (64) بدون استئذان ؛ فوجدهما على ما يستحيى من ذكره . . . !

31)ومن صفة الثقيل : أنه يتكلم باللغة الأجنبية مع أبناء وطنه .

وحكوا أن بعض العقلاء دخل على ثقيل من الرؤساء . . فتكلم معه باللغة العربية ـ التي هي لغته ولغة وطنه وأجداده !ـ فقال له ذلك الثقيل . على سبيل الإنكار : لماذا تكلمني بالعربية وأنت تحسن الفرنسية ؟ ! فقال له ذلك الرجل العاقل : كيف

---

63) أخرجه الترمذي 2478 وابن ماجه . 335

64) سئل حذيفة : أيستأذن الرجل على والدته ؟ قال : نعم ؛ إنك ان لم تفعل رأيت منها ما تكره . . أخرجه عبد الرزاق في المصنف 19421 .

أكلمك بالفرنسية وأنت مغربي مثلي ؟!!

وفي الحديث : «من كان يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية، فإنه يورث النفاق» رواه الحاكم.

وقد بينت معنى هذا الحديث في كتاب الإسلام والتفرنج. (65)

32) ومن صفة الثقيل : أنه يتكلم باللغة الأجنبية بمحضر الناس ليعلم الناس أنه يعرف اللغة الأجنبية.

وما أكثر هذا الصنف من الثقلاء بالمغرب !!

أما المصريون فإنهم يعتزون باللغة العربية، ولا يعدون اللغة الأجنبية شيئا !

33) ومن صفة الثقيل : أنه يكلم صاحبه في أذنه بمحضر رجل آخر معه جالس معه ؛ فيتأثر ذلك الرجل من ذلك، وتجرح عاطفته ؛ والثقيل لا يبالي !

وفي الحديث : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون ثالث من أجل أن ذلك يحزنه» رواه البخاري. (66)

34) ومن صفة الثقيل : أنه يلبس اللباس المشهور الذي يخالف لباس الناس حرصا على الشهرة والتفات الناس إليه، وعملا بالقاعدة «احرق قبرك يشهر خبرك»

---

65) انظر صفحة 52

66) رواه البخاري 8 / 80 ومسلم 2184 وأبوداود 2 / 562 والترمذي 2825.

وفي الحديث : النهي عن لباس الشهرة. (67)

ومن هذا الصنف : تلك الطائفة الذين يصومون مع الشرق . . . فإنهم لا يدعوهم إلى الصيام مع المشرق إلا حب الشهرة والظهور بين الناس بمظهر غريب!

ولهذا يخرجون إلى الشارع فيفطرون يوم العيد والناس صائمون ليعلنوا أمرهم ويحملوا الناس على الالتفات إليهم!

35) ومن صفة الثقيل : أنه يعمل في الشارع العمل الذي يؤذي الناس به ويضرهم بسببه : كذبح الدجاج، وصب الماء الوسخ ـ الذي يوسخ ثياب الناس أو يكون سبباً لهم في الزلق ـ، وكلعب الكرة في الشارع المسلوك، وكتفجير الصواريخ التي تحرق ثياب الناس أو أجسامهم، وكالكلب الذي يعض من يمر عليه ويفزع النساء والصبيان.

وفي الحديث : «اعطوا الطريق حقه ـ قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : كف الأذى» رواه البخاري ومسلم. (68)

---

67) أخرجه أبوداود 2 / 172 وابن ماجه 2 / 278 بسند حسن عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «من لبس ثوبَ شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً»

68) رواه البخاري 8 / 63 ومسلم (رقم 2121) وأبوداود 2 / 555.

أصناف من الثقلاء :

1) ومن الثقلاء : الذي يرمي من النافذة قشور الموز والتفاح ؛ فتسقط على المارين في الشارع وهم لا يشعرون.

وكذلك الذي يسقي الغرس، أو ينفض الزربية على المارين من السطح أو النافذة.

2) ومن الثقلاء : الذي يدخل الاكرام فيجلس في الموضع الذي يكون جلوسه فيه حجاباً مانعاً من الريح أو الضوء أو البرودة في أيام الحر الذي يكون الناس في حاجة شديدة إلى الهواء والبرودة.

3) ومن الثقلاء : الذي يستعير من الناس ما لا غنى لهم عنه من الماعون والمتاع : كطنجرة الطبخ ونحوها . . . فيقضي حاجته بها ويتركها عنده ؛ فإذا احتاج إليها أصحابها لم يجدوها. وربما احتاجوا إليها في الوقت الذي لا يجدونه فيه في داره، فتتعطل مصلحتهم ببركة الثقيل وقلة ذوقه !

ومثل الماعون : الكتب التي يستعيرها الثقيل فيتركها عنده أشهراً لا يقرؤها ولا يردها إلى صاحبها !

4) ومن الثقلاء : الذي يكون في الحافلة أو في الإكرام ؛ فيشرب الدخان الذي يؤذي الحاضرين برائحته الكريهة ولا يبالي ؛ كأن الإكرام ما أقيم إلا «لحضرته» وكأن الحافلة ما أعدت إلا لركوبه بمفرده !

5) ومن الثقلاء : الذي يذهب إلى الإكرام ومعه ابنه الصغير الذي لا يميز ولا يعرف ما يلزم من الأدب مع الناس في مجامعهم ؛ فيأكل بدون نظام، ويتكلم بالكلام الذي لا يليق . . وأبوه الثقيل يضحك، ويظن أن الناس يستحسنون من ابنه ما يستحسن (69)

6) ومن الثقلاء : الذي يركب في السيارة (الحافلة) ويتكلم بالكلام المنافي للأدب والحياء، وهو يضحك ويمزح، ويظن أن الناس يستحسنون منه ذلك ويستخفونه. مع أنه قد يكون هناك رجل معه ابنته أو ابنه ؛ فيخرق عليه ما بينه وبين أولاده من حجاب الوقار والحياء.

7) ومن الثقلاء : الذي يمشي في الشارع، وهو ينظر إلى ما وراءه حتى يصطدم بالمارة الذين يأتون قبالة وجهه.

ومثله : الذي يمشي وهو يقرأ كتاباً أو يعمل عملا يشغله عن النظر إلى الطريق.

8) ومن الثقلاء : الذي يكلمك وهو يضحك ؛ فلا تكلمه بكلمة إلا ضحك ضحكاً كثيراً . . كأنه رأى أعجوبة من العجائب !

---

69)مع أن الواجب الذي يقتضيه الإسلام يفرض على الوالد أو الحاضر في المجلس أن يلقن الولد آداب الاكل اقتداء بسيدنا ﷺ حيث رأى ولداً تطيش يده في القصعة فقال له : «ياغلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك» رواه البخاري ومسلم.

تقول له : أخوك فلان . . أين هو؟ فيضحك كثيراً . . وهو يجيبك : قد سافر !!

ولا يخفى أن هذا مما تضيق منه صدور العقلاء .

9) ومن الثقلاء : السائل الذي يقابلك فيطلب منك أن تسمح بالوقوف معه لحظة . . فإذا وقفت، افتتح كلامه بسؤالك عن حالك، وحال أولادك، حتى تظن أنه صاحب غرض مهم ؛ ثم بعد هذه المقدمات الثقيلة يقول لك : إني محتاج فأعني بما تيسر !

وأقبح من هذا . . الذي يطلب منك أن تخرج إليه من الدار في الوقت الذي يشق عليك فيه الخروج ؛ فإذا خرجت قال لك : أعني بما يمكنك !!

وحكوا أن سائلا ثقيلا جاء إلى رجل وقال للخادمة : قل لصاحب الدار يخرج إليّ ـ وكان صاحب الدار في منزل عال مرتفع يصعد إليه بدرج كثيرة ـ فلما نزل إليه ؛ قال له : أعني !

فقال : تفضل . . فدخل وطلع حتى كان في أعلا الدار ؛ فحينئذ قال له : ما عندي شيء . . الله يرزقك !

ثم تركه ينزل كما أنزله بلا فائدة . .

10) ومن الثقلاء : الذي يمشي وهو غافل حتى يطأ على عقب نعل من يكون ماشياً أمامه فيمزق النعل ؛ ثم يقول له : اسمح لي !!

11) ومن الثقلاء : المدين الذي يطلب ممن له عليه الدين أن يسلفه زيادة على الدين الذي عليه منذ مدة طوّيلة.

وفي الحديث : «مطل الغني ظلم» رواه البخاري. (70)

وفيه ـ أيضا ـ : «من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله (71)

12) ومن الثقلاء : الذين يغطون قبر المرأة الوقتية التي تخرج عريانة بالثوب ساعة دفنها. مع أنها كانت تمشي أمام الناس عريانة ؛ وهي مزينة ؛ فكيف يغطونها عند الدفن وهي لا يرى منها إلا الكفن الذي لا شهوة معه ولا لذة ؟!

13) ومن الثقلاء : الذي يدق عليك بابك في الليل دقاً عنيفاً يفزع الناس ويزعج النائمين.

ومثله : الذي يأتي صاحبه في الليل في وقت غير معتاد لأجل غرض عادي لا أهمية له.

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من طارق الليل (72) . . .

---

70) رواه البخاري 3 / 123 ـ 155، ومسلم 1564، وأبوداود 2 / 222 والترمذي 1308 والنسائي 7 / 317 والدرامي 2 / 261 وابن ماجه 2404 والطبراني في «الصغير» 1 / 231

71) رواه البخاري 2 / 139 وابن ماجه 2411

72) أخرجه أحمد في «المسند» (3 / 139) ولفظه : «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ . . . ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمان».

وذلك لأنه مفزع ومزعج .

14) ومن الثقـلاء : الرسول الذي ترسله لقضاء حاجة . . . وتبين له الطريقة التي يسلكها في قضائها ؛ فيترك ما أشرت به عليه ويعمل برأيه العمل الذي يفسد عليك حاجتك من غير أن يكون له علم بها فعل ولا تجربة .

15) ومن الثقلاء : الذي يتكلم مع العامة باللغة العربية الفصحى . (73)

وقد عد ابن الجوزي (74) فاعل ذلك من الحمقى ؛ وهو

73) قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن لا يكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة . وقال الكسائي : حلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه ، وذلك أنني وقفت على نجار فقلت له : بكم ذانك البابان ؟ فقال : بسلحتان . فحلفت أن لا أكلم عامياً إلا بما يصلحه ـ انظر : معجم الأدباء (13 / 197) ـ وكان ثعلب يخاطب العامة على قدر فهمهم ، وكان لا يتكلف الاعراب في المفاوضة ، وهي سنة جلة العلماء ـ 17 / 44 معجم الأدباء ـ وذكر المقري في «نفح الطيب» (1 / 222) أن الأندلسيين كان الخاص منهم إذا تكلم بالعربية الفصحى استثقلوه واستبردوه ، وذلك في غير الدروس والخطب . . . وحكى عن أبي علي الشلوبيني الامام النحوي أنه كان يتكلم بالعامية في دروسه ـ قال : ولو أن شخصاً من العرب سمع كلامه وهو يقريء درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه . وفي معجم الأدباء 7 / 133 نقلا عن الميداني قال : سئل المازني عن أهل العلم فقال : أصحاب النحو فيهم ثقل . . . .

74) عبد الرحمان بن علي بن الجوزي (508 ـ 597) له مشاركة في فنون كثيرة . . . ألف تآليف في الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب والتاريخ والسير . . . ولد ومات ببغداد .

بالثقلاء أشبه وإليهم أقرب. وسنذكر حكايات الذين فعلوا ذلك فيما يأتي ـ إن شاء الله ـ.

16) ومن الثقلاء : الذي يجلس مع ضيوفه ليأكل معهم ؛ ثم يمسك عن الأكل قبلهم. فيكون ذلك سببا في خجلهم وانقباضهم وإمساكهم عن الأكل قبل أن يشبعوا.

وحدثني بعضهم أنه كان في إكرام عند بعض الثقلاء ؛ فلما وضع الطعام أكل منه شيئاً ما ؛ ثم أمسك عن الأكل ! قال : فأمسكنا لأجل إمساكه ـ ونحن لم نشبع ـ قال : ثم إني بعد أيام ... استدعيت ذلك الثقيل ؛ فرأيت من أكله خلاف ما رأيت منه في منزله ... وتبين لي أن ما فعله في إكرامه كان منه عن قصد ولغرض، ولم يكن من طبعه ! 75

17) ومن الثقلاء : الذي يمازح أصحابه مزاحاً مؤذياً، يؤذيهم في أنفسهم أو أموالهم أو ثيابهم أو في أمر من أمورهم المهمة.

فإن بعضهم مازح رجلا من أصحابه ؛ فوضع على عنقه حجرة حامية ؛ فأحرق عنقه !

ومازح بعضهم امرأة حاملا ؛ فأسقطت ما في بطنها أو كادت !

---

(75) المعني هنا هو المرحوم عبد الخالق طريس والمرحوم أحمد بن الصديق.

وبعضهم يمازح أصحابه بالكذب عليهم ؛ فيورطهم في مشاكل يصعب حلها .

وفي الحديث : «لا تروعوا المسلم ؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم» (76)

18)ومن الثقلاء : الذي تستدعيه إلى إكرامك ؛ فيجيء متأخراً بعد أن يأكل الناس ولا يبقى لطعام الإكرام نظام ؛ فيحيرك ويخجلك .

19) ومن الثقلاء : الذي لا يترك لغيره مجالاً للكلام المجلس الذي يكون فيه ؛ فيكون كالراديو يوم العيد .

وإذا وقع ونزل وتكلم بعض الحاضرين قطع عليه كلامه بأعذار مصطنعة ؛ كقوله : اسمح لي أبين لك حقيقة ما تتكلم به . . . وكقوله : ماذكرته ؛ أنا كنت حاضراً عند وقوعه ـ ثم يشرع في بيان الحقيقة والواقع ، ويسيطر على المجلس !

وحكوا أن بعض الثقلاء كان في مجلس يتكلم ويثرثر . . ولا يترك أحدا من أهل المجلس يتكلم بكلمة ، وكان في المجلس رجل يعجبه أن يتكلم ، فكان كلما أراد أن يتكلم . . قاطعه ذلك الثقيل بأدب مصطنع : قطعت كلامك من فيك بالعسل . . !

فلما ضاق ذلك الرجل صاح : لقد قطعت كلامي من فمي

---

76) أخرجه البزار (1523 كشف الأستار) والطبراني وأبو الشيخ في «التوبيخ» من حديث عامر بن ربيعة بسند ضعيف وفي معناه أحاديث كثيرة ـ انظر : الترغيب (4 / 262)

بالزفت لا بالعسل !!

20) ومن الثقلاء : الذي يتحدث في المجلس عن نفسه، وبراعته في أعماله، وخبرته في تجارته ووظيفته ؛ ثم بعد الفراغ من الحديث عن نفسه ومزاياها . . يشرع في الحديث عن مزايا أولاده، وما لهم من الفضائل والمناقب

وحكوا أن رجلاً ثقيلاً جاء بابنه إلى الامام الأعمش ليقرأ عليه، ولكنه أطنب في مدح ابنه والثناء عليه بالفهم والعلم حتى ثقل ذلك على الأعمش.

ثم إن الرجل سأل الأعمش عن مسألة شرعية، فقال له الأعمش : سل ولدك فإنه عالم !

21) ومن الثقلاء : الذي يخلل أسنانه وهو مع الناس في غير وقت تخليل الأسنان . . فإن العادة المعروفة بين الناس أن تخليل الأسنان يكون بعد الفراغ من الأكل بخلاف الثقيل : فإن تخليل الأسنان عنده كشرب الدخان يخلل أسنانه عند كل مناسبة ! (77)

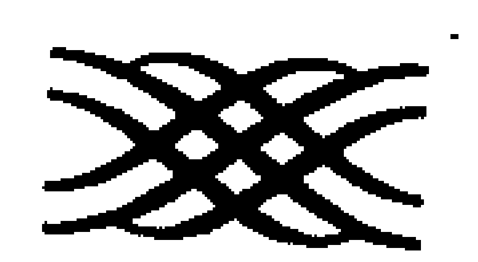
---

77) ذكر المسعودي في «مروج الذهب» (3 / 125) أن أم الحجاج بن يوسف الثقفي كانت عند الحارث بن كلدة، وفي البداية والنهاية 9 / 118 : كانت عند المغيرة بن شعبة؛ فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها فقالت : لِمَ بعثت إلى بطلاقي ؟ أَلِشَيْءٍ رابك مني؟ قال : نعم، دَخلت عليك عند السحر وأنت تتخللين؛ فإن كنت بادرت الغذاء فأنت شرهة، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة ! فقالت : كل ذلك لم يكن؛ لكن تخللت من شظايا السواك ! قال في البداية : فأمر المغيرة يوسف أبا الحجاج أن يتزوجها.

22) ومن الثقلاء : الذي يمد رجليه بين الناس الجالسين معه في المجلس كأنه وحده ليس معه أحد. 78

23) ومن الثقلاء : الذي يغسل يديه في دار الإكرام فيبصق على الصابونة التي تكون في الطست، ويلوثها ببصاقه وبفضلات الطعام الذي كان بين أسنانه !

24) ومن الثقلاء : الذي يصافح الناس برؤوس أصابعه كأنه يخاف أن يصيبوه بالجرب أو الطاعون !



---

78) وقد أخرج أبو نعيم في الحلية 9 / 250 بسند ضعيف عن جابر قال : «مارئي رسول الله ﷺ أو قال : مارأيت رسول الله ﷺ ماداً رجليه بين أصحابه»

فصل :

25) ومن الثقلاء ـ على رأي ابن حبان المتقدم ـ : المبتدع الذي يعمل بالبدعة التي تفسد الدين، وتضعف الايمان ؛ ويقول لمن ينهاه عنها : لا شيء فيها، فإنها بدعة مستحسنة !

رسول الله ﷺ يقول : «كل بدعة ضلالة» (79) والثقيل يقول : مستحسنة !!!

وقد كان السلف الصالح يستثقلون المبتدع ويهربون منه ومن المكان الذي يكون فيه كما نهرب من الثقيل.

---

79) أخرجه مسلم (رقم 867) من حديث جابر

26) ومن الثقـلاء ـ في حكـم الدين ـ : الذي لا يحترم والديه ولا يقيم لهما وزناً : يتقدم أمامها في المشي ولا يبالي، ويأكل قبلهما ولا يستحيي، ويرد عليهما الكلام ولا يبالي. (80)

27) ومن الثقلاء : الذي يتجاهر بالفواحش ولا يستحيي من أحد : كبيراً كان أو عالماً، والداً كان أو ولداً. 81

28) ومن الثقـلاء : الـرجـل الكبـير السن الذي تجاوز الستين أو السبعين، وهو يحلق لحيته، ويتزيا بزي الشباب.

وقـد يحمله حب التصـابي على أن يجعـل سنه في «الحالة المدنية» دون السن الحقيقي الذي هو سنه !

29) ومن الثقـلاء : المـرأة الكبيرة العجوز التي تجاوزت

---

80) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 30) في باب لا يسمي الرجل أباه، ولا يجلس قبله، ولا يمشي أمامه : عن أبي هريرة أنه أبصر رجلين فقال لأحدهما : ماهذا منك ؟ قال : أبي. فقال : لاتسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله.

81) وفي الحديث : «إن الله يبغض الفاحش المتفحش» رواه ابن حبان؛ كما في مورد الظمآن 1974.

الخمسين ؛ وهي عريانة كأنها شابة في سن العشرين !

وشعرها «الأبيض !» المصبوغ يغمز الناظرين ببياضه وصبغته المفضوحة، وينبههم على ما هي عليه من التزوير «البارد» المكشوف !

ويقول المثل العامي : «لعب الكبار يكون سبباً في بودهور !» أي : في الغفلة والدوخة المفسدة للعقل.

30) ومن الثقلاء : الذي يستعير من صاحبه الجلابة ونحوها . . . فيلبسها حتى تتسخ ثم يردها وهي كذلك !

31) ومن الثقلاء : الذي يستعير من الناس متاعهم فيضيعه ثم يعتذر بأنه «لا يغرم ما أضاعه للناس» بحجة أن «الغرامة» تضره !

32) ومن الثقلاء : المرأة التي تنام قبل زوجها عمداً ليلا يجد سبيلا إلى قضاء حاجته منها، أو تسهر عند معارفها حتى ينام زوجها، ولا يتمكن من قضاء حاجته منها.



أصنـــاف من المستثقليـــن :

فصـل :

يوجد أناس يكونون «مستثقلين» عند قوم دون آخرين :

1) منهم : أم المرأة.
فإن زوج ابنتها يستثقلها عادة ويكرهها.
ولهـذا قال بعض الصحفيين المصريين : أم المـرأة كارثة تصرف إلى الزوج بمقتضى عقد الزواج !
ويحكـون أن رجـلا مرضت «أم امـرأتـه» فجاء بالطبيب ليعالجها، فلما رآها قال له : حالتها تنذر بالخطر والموت ! فقال له : أتتكلم بالحق ؛ أم تريد أن تسليني فقط ؟!

2) ومنهم : أم الزوج.
فإن امرأة ابنها تستثقلها وتتمنى موتها دائمًا أبداً.
ولهـذا كان من المقرر في الفقه : أن المرأة إذا رفضت أن

تسكن مع «أم زوجها» وجب على الزوج أن يسكنها على انفراد منها. (82)

3) ومنهم : امرأة الابن.

فإن أم زوجها تستثقلها وتكرهها عادة وتتربص بها الدوائر .. وقد تسعى في التفريق بينها وبين زوجها إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

4) ومنهم : ربيب المرأة (ابن زوجها من امرأة أخرى مطلقة أو ميتة).

فإن امرأة أبيه تستثقله وتكرهه ؛ لاسيما إذا ولدت الأولاد مع أبيه. ولهذا يقول العامة في مثلهم : «الربيب كله علة».

5) ومنهم : ابن المرأة من رجل ميت أو مطلق.

فإن زوجها يستثقله ولا يكره أن تصيبه مصيبة تريحه منه.

6) ومنهم : الحسود من التجار أو أصحاب الصنعة.

فإنه دائمًا يستثقل التجار الذين يكون عندهم الرواج.

7) ومنهم : العالم الفاجر. (83)

---

82) انظر تفصيل ذلك في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة 4 / 556 ـ 562.

83) انظر ما ذكر الزياني في «الترجمانة الكبرى» (ص 105) حول هذا الموضوع . . .

فإنـه يستثقـل العلماء الذين يرى الناس مقبلين عليهم، ويحضرون دروسهم، والجمعة معهم.

8) ومنهم : الضيف المريض.

فإن أصحاب الدار يستثقلونه بسبب النظام الخاص به في الأكل والنوم والوضوء.

9) ومنهم : الحجام.

يستثقله المصريون، وذلك لما فيه من الثرثرة وكثرة الكلام. (84)

10) ومنهم : المنان الذي يكون من عادته المن بالخير الذي عمله مع الناس.

فقـد حكـوا أن رجـلا كان من طبعـه المن بالخـير الذي يعمله ؛ فاتفق أن تصدق على بعض أصحابه بدجاجة ؛ ثم اتخذ تلك الـدجـاجـة «تأريخا» محفوظا : فكان إذا تكلم عن حادثة

---

84) ذكر ابن عبد ربه في «العقد» 8 / 124 والذهبي في سير أعلام النبلاء 6 / 237 أن الأعمش كثر شعر رأسه فقيل له : لم لاتأخذ من شعرك ؟ قال : لا أجد حجاماً يسكت حتى يفرغ ! قلنا له : فإنا نأتيك بحجام ونتقدم إليه أن يسكت حتى يفرغ . . قال : فافعلوا. قال عبد الله بن ادريس : فأتيت جنيداً الحجام ـ وكان محدثا ـ فأوصيته وأعذرت إليه ألا يتكلم حتى ينقضي أمره . . فبدأ الحجام بحلقه فلما أخذ نصف شعره قال : يا أبا محمد كيف حديث حبيب بن أبي ثابت في المستحاضة ؟ فصاح الأعمش صيحة، وقام يعدو . . وبقي نصف شعره بعد شهر غير مجزوز. ثم جئناه بغيره فقال : لا والله ! لا أخرج إليه حتى تحلفوه؛ فحلفناه ألا يسأله عن شيء؟ فخرج إليه !

بحضور ذلك الرجل المسكين ـ الذي أعطاه الدجاجة ـ قال : كان ذلك بعد ما أعطيتك تلك الدجاجة بيوم !

وتارة يقول : كان موت فلان ـ مثلا ـ قبل أن أعطيك تلك «الدجاجة» بشهر ! (85)

وهكذا فضح ذلك الرجل . . بتلك الدجاجة المشؤومة ؛ وصيره عبرة للسامعين !!

11) ومنهم : صاحب الدين .

فإن المديون الذي يكون قليل الدين لا أمانة له يستثقله ويهرب منه ومن الاجتماع معه في المكان الذي يكون فيه . (86) .

12) ومنهم : السفيه الخبيث اللسان .

يستثقله العقلاء ويهربون منه ، ويتقون الاجتماع معه . وفي الحديث : «إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه» رواه البخاري . (87)

---

85) ذكرتني هذه الحكاية بما وقع للقاضي التنوخي (355 ـ 447) اجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر بنتك يا أختي ؟ فقالت : رزقتها يوم صفع القاضي وضرب بالسياط . . . فرفع رأسه إليها وقال : بابظراء صار صفعي تاريخك ؛ ما وجدت تاريخاً غيره ؟ !! ـ انظر : فوات الوفيات 3 / 60

86) ولهذا قال الشاعر :

إذا استثقلت أو أبغضت شخصاً ... وسرك بعده حتى التنادي

فشرده بقرض دريهمات ... فإن القرض مقراض الوداد

87) البخاري 15/8 ه مسلم 259

فصــل

فيما ورد في الثقلاء من الذم في القرآن الكريم والسنـة المطهرة وعن العلمـاء والصالحيـن

قال الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعـام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا . . فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستـانسـين لحديث. إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم، والله لا يستحيي من الحق . .﴾ (88)

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ نزلت هذه الآية في الثقلاء. (89)

وسبب ذلــك : أن النبي ﷺ لما تزوج زينب (90) أولم

---

88) سورة الأحزاب 53

89) وكذا قال ابن عباس وحماد بن زيد، وعن ابن عباس وعائشة : «حسبك في الثقلاء أن الله لم يحتملهم» وقال إسماعيل بن أبي حكيم : «وهذا أدب أدّب الله به الثقلاء» ـ انظر : تفسير القرطبي 14 / 223 وتفسير الألوسي 22 / 70

90) زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ونزلت بسببها آية الحجاب، وتوفيت سنة عشرين ـ انظر : الإصابة 4 / 314

وليمة ؛ فلما أكل الناس وخرجوا . . بقي في البيت جماعة يتحدثون، ورسول الله ﷺ ينتظر خروجهم ؛ حتى سئم من الانتظار وهم جالسون لا يشعرون. (91)

فأنزل الله هذه الآية . . في النهي عن ذلك العمل المؤذي للنبي ﷺ ولكل أحد.

ومعنى الآية : النهي عن الجلوس في بيت الإكرام بعد الأكل وانتهاء الإكرام.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا استثقل إنساناً . . قال : «اللهم اغفر له وأرحنا منه». (92)

وقيل لأيوب السختياني ـ وكان من التابعين ـ (93) : مالك لم تكتب الحديث عن طاووس (94) ؟ فقال : أتيته فوجدته

---

91) انظر : صحيح البخاري (7 / 30) النكاح : باب الوليمة حق ؛ و(8 / 65) الاستئذان : باب آية الحجاب.

92) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص 68) والحافظ الخلال في «الثقلاء» ـ كما في «لطائف المنن» 2 / 131 ـ وأورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» 1 / 309.

93) أيوب السختياني (ـ 131) كان إماماً حافظا ثقة ثبتاً في الحديث جامعاً كثير العلم توفي بالبصرة (6 / 15 أعلام النبلاء)

94) طاووس بن كيسان اليمني (ـ 106) من سادات التابعين حج أربعين حجة ومات بمكة ـ انظر : أعلام النبلاء 5 / 38

بين ثقيلين (95) فلم أكتب عنه !

وسئل الشعبي : هل تمرض الروح ؟ فقال : نعم ؛ من رؤية الثقلاء !

وقيل للأعمش : مم عمشت عيناك ؟ قال : من النظر إلى الثقلاء !

وقال الشعبي (96) : من فاتته ركعتا الفجر فليعلن الثقلاء . . .

وقال الأعمش : إذا كان عن يسارك ثقيل وأنت في الصلاة ؛ فتسليمة واحدة عن اليمين تجزئك !

وكان حماد بن سلمة (97) إذا رأى ثقيلا قال : ربنا إكتشف عنا العذاب إنا مومنون !

وقال بختيشوع الطبيب (98) للمامون : لا تجالس الثقلاء

---

95) في «عيون الأخبار» (1 / 309) «فوجدته بين ثقيلين : ليث بن أبي سليم وعبد الكريم بن أبي أمية»

96) عامر بن شراحيل الكوفي (ـ 104) أعلم أهل عصره شارك في ثورة القراء التي تزعمها ابن الأشعث على الحجاج الظالم المشهور، ثم اعتذر إليه فقبل منه اعتذاره ـ انظر : سير أعلام النبلاء 4 / 294

97) قال ابن حبان : لم يكن من أقران حماد بالبصرة مثله في الفضل والدين والنسك والعلم والكتب والجمع والصلابة في السنة والقمع لأهل البدع ، مات سنة 167 ـ انظر : تهذيب التهذيب 3 / 11 . وقوله المذكور في «لطائف المنن» 2 / 131 .

98) وهو بختيشوع الكبير المتوفى نحو سنة 184 اشتهر بالطب والفلسفة ، وتقدم هو وأبناؤه عند العباسيين ـ انظر : عيون الأنباء 2 / 41 . وقوله المذكور عزاه إليه ابن قتيبة في عيون الأخبار 1 / 309

. . فإنا نجد في الطب «مجالسة الثقيل حمى الروح».

وقال ابن سيرين (99) : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقيل ؛ فغشي علي !

وقال الثوري (100) : ما نظرت إلى ثقيل أو بغيض إلا كحلت عيني بماء الورد مخافة أن يكون التصق بها شيء !

ودخل على الأعمش ثقيل يعوده ؛ فقال له : ما أشد ما مر بك في علتك هذه ؟ فقال : دخولك !

فهؤلاء رجال من فضلاء السلف الصالح كانوا يكرهون الثقلاء ويهربون منهم.

وقال الشعراني (101) في «المنن» :

«ومما مَنَّ الله به عليَّ : صبري على مجالسة الثقلاء، وكتمي عنهم أني أدركت ثقلهم، وعدم غيبتهم إذا قاموا من مجلسي . . بل ربما أذكر بعض محاسنهم ستراً لهم عند من شعر بثقالتهم من أهل المجلس . . .»

---

99) محمد بن سيرين كان إماماً حجة توفي سنة 110 ـ انظر : سير أعلام النبلاء 4 / 606 وقوله المذكور أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء 68.

100) سفيان بن سعيد (97 ـ 126) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ كان أفقه أهل الدنيا ـ انظر : سير أعلام النبلاء 7 / 229.

101) عبد الوهاب بن أحمد من قرية أبي شعرة في مصر شافعي المذهب ينحو منحى الصوفية في كتاباته، توفي سنة 973 ـ انظر : الكواكب السائرة 3 / 176.

«. . . وهذا خلق غريب قلَّ من يصبر له حتى رأيت شيخنا شيخ الـإسلام زكريا الأنصاري (102) يخبط بالعصا من عنده ثقالة ويزجره ليقوم، ويقول : ضيعت علينْا الزمان فيما لا يعنينا!

وكان سيدي أفضل الدين إذا رأى ثقيلا يقصده بالجلوس، يقوم ويمشي حتى يتوارى منه.

وكذلك رأيت شيخنا الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري كان رجل ثقيل ياتيه ؛ فكان إذا رآه داخلاً من باب الجامع يقوم ويطلع بيته . . .. . » (103)

«. . . ورأيت مؤلفاً للشيخ جلال الدين السيوطي فيما ورد في الثقلاء من الأحاديث والآثار - إلى أن قال - : وكلام العلماء في الثقـلاء كثير . . وما ذكرت لك ذلك إلا لتعرف أن من تحمل مجالسة الثقلاء . . وأخفى عنهم إدراكه ثقلهم ؛ فهو من أوسع الناس خلقاً» (104)

---

102) فقيه مشارك له تآليف في التفسير والفقه والحديث والأصول والمنطق، توفي سنة 926 - الأعلام 3 / 80.

103) محمد بن أحمد أمين الدين بن النجار الدمياطي خطيب جامع الغَمْري بمصر كان من الراسخين في العلم، كثير التهجد والعبادة، قراءته تأخذ بجوامع القلوب لحسن صوتـه وخشـوعه، توفي سنة 928 - انظر : الطبقات الكبرى 2 / 131 والكواكب السائرة 1 / 33

104) لطائف المنن 2 / 132

فصـــل
في حكايات الثقلاء

(أ)

قال الجاحظ في «البيان»

قال المدائني : كان غلام يقعر في كلامه ؛ فأتى أبا الأسود الدؤلي (104) يلتمس ما عنده ؛ فقال له : ما فعل أبوك ؟

قال : أخـذتـه الحمي فطبختـه طبخـاً، وفتخته فتخاً، وفضحته فضحاً ؛ فتركته فرخاً.

فقال أبو الاسود : فما فعلت امرأته التي كانت تشاره وتماره وتهاره ونزاره ؟

قال : طلقها وتزوجت غيره .. فرضيت وحظيت وبظِيت.

قال أبو الاسود : قد علمنا رضيت وحظيت ؛ فما بظيت ؟! (105)

قال : حرف من الغريب لم يبلغك !

---

104) واسمه ظالم بن عمرو. قال ابن عبد البر : كان ذا دين، وعقل ولسان وبيان، وفهم وذكاء وحزم وكان من كبار التابعين، توفي سنة 69 ـ انظر : تهذيب التهذيب 12 / 10 سير أعلام النبلاء 4 / 81

105) ليس في اللغة «بظى» وإنما يوجد فيها «بظا» بالألف التي أصلها واو ؛ وهو بمعنى : كثر لحمه وتراكب ـ انظر : لسان العرب 1 / 307 مادة بظا.

قال أبـو الأسـود : يا بني ! كل كلمـة لا يعـرفها عمك فاسترها كما تستر السِّنَّوْر خرءها ! (106)

(2)

وفيه ـ أيضا ـ :

مر أبـو علقمـة النحـوي (107) ببعض طرق البصرة، وهاجت به مرة فصرعته ؛ فاجتمع عليه أناس يؤذنون في أذنه، ويعضـون إبهـامـه ؛ ففـر منهم. وقـال : مالكم تَكَأْكَأْتُمْ عليَّ كَتَكَأْكُئِكُمْ على ذي جنة ؟ افرنقعوا عني !

فقال الناس : دعوه ؛ فإن شيطانه يتكلم بالهندية. (108).

(3)

وقال المدائني : استدعى أبو علقمة حجاماً ليحجمه

106) البيان والتبيين 1 / 355 وعيون الأخبار 2 / 164 والعقد 2 / 283.
107) أبو علقمة النميري اشتهر بكنيته كان يتقعر في كلامه ويتعمد الغريب الحوشي - انظر : معجم الأدباء 12 / 208.
108) البيان والتبيين (1 / 355) وعيون الأخبار (2 / 163) والبداية والنهاية (10 /
106) قال فيه : معناه مالكم تجمعتم علي تجمعكم على مجنون ؟ انكشفوا عني.

فقال له : (109) اشدد قصب الملازم، وارهف ظبات المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك وخزا، ومصك نهزاً، ولا تكرهن أبياً، ولا تردن أتياً !

فوضع الحجام محاجمه في جؤنته وانصرف !

وإنما انصرف الحجام المسكين من ثقل أبي علقمة وفصاحته الثقيلة. (110)

(4)

وقال الحصري القيرواني (111) في كتاب جمع الجواهر :

كان رجل من التجار له ولد يتقعر في كلامه ويستعمل الغريب، فجفاه أبوه استثقالا له، وتبرما به، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت، فقال : أشتهي أن أرى أولادي . . . فأحضروهم له.

ولم يحضروا هذا الثقيل، فقالوا له : ندعوا لك بأخينا فلان...

---

109) «لا تعجل حتى أصف لك ولا تكن كامرىء خالف ما أمر به ومال إلى غيره، اشدد. . .» معجم الأدباء 12 / 212

110) البيان والتبيين 1 / 356 عيون الأخبار 2 / 163 معجم الأدباء 12 / 212 ـ 214.

111) إبراهيم بن علي الأديب الناقد، ألف كتباً في الأدب وله شعر فيه رقة ؛ وهو ابن خالة شاعرنا الطنجي أبي الحسن الحصري، توفي سنة 453 ـ انظر : الأعلام 1 / 44.

فقال : هو ـ والله ! ـ يقتلني بكلامه ! فقالوا : قد ضمن أن لا يتكلم بشيء تكرهه !

فأذن له . . . فلما دخل عليه قال : السلام عليك ياأبت، قل : أشهد أن لا إله إلا الله.

وإن شئت قل : أشهد أن لا إله إلا الله (112). فقد قال الفراء : كلاهما جائز، والأولى أحب إلى سيبويه !

يا أبت ! ما شغلني عنك غير أبي علي فإنه دعاني بالأمس : فأهرس وأعدس (أي : قدم له الهريسة والعدس)، وأروز وأوزز، وسكبج وسبج ، وزربح وصهبج ، وأبصل وأمصل، ودجدج وافلودج ولوذج !!

فصاح والده : السلاح، السلاح . . . !!

نادوا جارنا الشماس لأوصيه أن يدفنني مع النصارى، وأستريح من كلام هذا الثقيل !

(5)

وحكى في «العقد الفريد» أن أبا علقمة النحوي حصلت

---

112) يعني : يجوز في كلمة (إله) الوجهان : الفتح على أن (لا) عاملة عمل «إنَّ»، والرفع على أن (لا) مهملة. وقد ذكرتني هذه القصة بقول ابن عباس عندما قرأ أحدهم : (يامالك ليقض علينا ربك) وقال : هذا ترخيم . . فقال ابن عباس : ما أغنى الجهنميين عن الترخيم وهم فيما فيه !

له علة، فدخل عليه الطبيب يعوده، فقال : ما تشتكي ؟

قال : أكلت من لحوم هذه الجوازل، فطسئت طسأة، فأصابني وجع ما بين الوالبة إلى داية العنق، فما زال يزيد وينمي حتى خالط الخلب والشراسيف، فماذا ترى ؟

فقال له الطبيب : خذ خربقاً وسلفقاً وشبرقاً، فزهزقه وزقزقه واغسله بماء بعر واشربه !

فقال له أبو علقمة : ما تقول ؟ فإني لم أفهم منه شيئاً!

فقال له الطبيب : وصفت لي من الداء ما لا أعرف فوصفت لك من الدواء ما لا تعرف !

فقال : ويحك ! ما أفهمتني ؟!

قال : لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه !

«الجوازل» : أفراخ الحمام. (113)

(6)

وحكى أنه انقطع إلى أبي علقمة غلام يخدمه فسأل أبو علقمة الغلام ذات ليلة، فقال : أصقعت العتاريس ؟

فقال الغلام : زقفيلم . . . .

فقال أبو علقمة : وما معنى زقفيلم ؟!

---

113) العقد 2 / 283 معجم الأدباء 12 / 213 ـ 209 عيون الأخبار 2 / 162 .

فقال الغلام : وما معنى صقعت العتاريس ؟!
قال : أصاحت الديوك ! ؟ قال : ما صاح منها شيء ! (114)

(7)

وكان محمد بن الحسن يتقعر في الكلام ، فدخل الحمام يوما فقال للطباخ : أين الحديدة التي يمتلخ بها الطوطوة من الأخفيق ؟

فصفع الطباخ قفاه بجلدة النورة ، وهرب !

(8)

وكتب بعضهم على فهرست الكتاب : هذه فهرست الفروع ، حفظ الله لكاتبها الضلوع ، من آفات النزول والطلوع !

(9)

وقال أبو علقمة : وقفت على قصاب (يعني : بائع العلاوة)

---

(114) معجم الأدباء 12 / 207 .

وقد أخرج بطنين سمينين فعلقهما، قلت له، كم ثمن البطنين ؟
قال : بمصفعان يا مضرطان !
فغطيت رأسي، وفررت ليلا يضحك علينا الناس. (115)

(10)

وقال الكسائي (116) : وقفت على نجار، فقلت له : بكم هذان البابان ؟
فقال : بخريتان يا مصفعان !
فحلفت أن لا أكلم عامياً إلا بما يفهم ! (117)

(11)

ووقف نحوي ثقيل على خضار يبيع الباذنجان فقال له : كيف تبيع ؟
قال : عشرين بدانق !
فقال : ولم لا تقول «عشرون» بدانق ؟

115) والقصة تعزي لأبي زيد الأنصاري ـ أيضا ـ صاحب النوادر ؛ انظر كلام المعلق على «معجم الأدباء» 11 / 213.

116) علي بن حمزة الكوفي النحوي اللغوي أحد أيمة القراء، توفي سنة 189

117) معجم الأدباء 13 / 197 البداية والنهاية 10 / 202

فظن الخضار أنه يطلب الزيادة، فقال له : ثلاثين بدانق ؟
فقال النحوي : ولم لا تقول «ثلاثون» بدانق ؟!
فما زال كذلك . . . حتى بلغ سبعين فقال : أراك تريد «الثمانون ! » ؟
وذلك لا يكون !!

(12)

وذهب ثقيل ليعزي أناساً في ميت لهم، فقال : أجركم الله
ـ وإن شئتم : آجركم الله !
كلاهما سمعته من الفراء !

(13)

ولقي ثقيل ممن يتكلف النحو رجلا، فأراد أن يسأله عن أخيه ـ وخاف أن يلحن ـ فقال : أخاك، أخوك، أخيك هاهنا ؟!
فقال له الرجل : لا = لو = لي، ماهو هنا !

(14)

وكتب بعض الثقلاء على ظهر كتاب : هذا الكتاب جاء

من طيس - يعني من طوس المدينة المعلومة !

فقيل له : لم قلت «طيس» ولم تقل : طوسٍ ؟ فقال : لأن «من» حرف جر يجر ما بعده !

فقيل له : إنما تجر (من) كلمة واحدة لا بلداً يشتمل على خمسمئة قرية !!

(15)

ووقع نحوي ثقيل في كنيف فصاح به المكلف بالكنيف : كيف أنت ؟

فقال له : ابغ لي سلمًا وثيقاً، وأمسكه إمساكاً رفيقا، ولا بأس علي !

فقال : لو تركت الفضول يوماً لتركته هذه الساعة وأنت في الخرا إلى حلقك !!

(16)

وسأل نحوي ثقيل بائع الزجاج، فقال له : بكم هاتان الزجاجتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان ؟

فقال له صاحب الزجاج : (مدهامتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟!)(118)

118) سورة الرحمان 64

(17)

وقال نحوي ثقيل لطبيب : أكلت دعلجاً فأصابني في بطني سجح ، فقال الطبيب : خذ غلوص وخلوص !

فقال النحوي : وما معنى هذا الكلام ؟

فقال له الطبيب : وما الذي قلت أنت ؟ كلمني بما أفهم !

فقال : أكلت زبداً في سكرجة فأصابني نفخ في بطني.

فقال : خذ صعتراً !

(18)

ودخل ثقيل سوقاً ليشتري خابية، فقال للبائع : أعندك خابية لا فقداء ولادباء، ولا مطربلة الجوانب، ولتكن نجوية خضراء نضراء، قد خف محملها إن نقرتها طنت، وإن أصابتها ريح رنت ؟

فقال له البائع : النطس بكور أبحر وإن أخر وحكى والدقس بأني، والطبرلري ، شلك لك بك !

ثم صاح وقال : يا غلام شرح ثم درب وإلى الوالي فقرب.

أيها الناس ! من بلي بمثل ما نحن فيه ؟!

(19)

وبعث عبد الملك بن مروان رجلا من أهل الشام رسولاً إلى الحجاج، فدخل على الحجاج وقد مات له صديق فقال الحجاج : ليت إنساناً يعزيني بأبيات . . . فقال الرجل الشامي : أنا. فقال : قل . . . . فقال :

وكل خليل سوف يفارقه خليله
بموت أو بصلب أو يقع
من فوق البيت أو يقع البيت عليه
أو يقع في بئر أو يكون شيء لا نعرفه

فقال الحجاج : لقد سليتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المومنين، إذ وجه مثلك رسولا !!

(20)

وقال بعض الثقلاء شعراً، هذا نصه :

ومنا الوزير ومنا الأمير ومنا المشير ومنا أنا !

(21)

وسأل رجل ثقيلا عن اسمه، فقال : اسمي أبو عبد منزل القطر عليكم من السماء تنزيلا، الذي يمسك السماء أن تقع على

الأرض إلا بإذنه !!

(22)

وقال رجل للأعمش : كيف بت البارحة ؟

فدخل الأعمش إلى داره، وجاء بفراش ووسادة، ثم رقد . . . وقال : هكذا !!

والثقيل هنا من يا ترى ؟!

(23)

وسأل بعض أصحابنا رجلا عن قبيلة جبلية : هل يوجد فيها النور ـ يعني الكهربائي ـ ؟

فقال له بعض الثقلاء : نعم، يوجد فيها نور الشمس دائما !

(24)

وأذاع راديو لندن سؤالاً، (119) حاصله أن كرة من الخشب

---

119) وذلك في إحدى حلقات برنامج «ندوة المستمعين».

وقعت في بئر لا يمكن النزول فيها لضيق فمها : كيف يتوصل إلى إخراج تلك الكرة منها ؟

فأجاب أناس من جهات مختلفة، وأجاب بعض أصحابنا الثقلاء بأن تقلب البئر، ثم ترد !!

(25)

كان ثقيل في السينما يقرأ ما يعرض على الشاشة بصوت مرتفع، مما ضايق الجالسين إلى جواره، فمرت على الشاشة عبارة يقول فيها الممثل : «والآن ماذا أعمل . . . ؟!» فقرأها الثقيل كالعادة فقال له أحد الجالسين خلفه : «الآن تقفل فمك وتسكت !» .(120)

(26)

وحكى بعضهم أن ثقيلا لقيه في الشارع، قال : فاستوقفني وشرع يحكي لي كيف تشاجر مع صاحب الدار التي هو فيها، وراح يمثل لي المعركة تمثيلا حيا . . . ولم يلبث أن انسجم مع دوره، ونسي أنه يتحدث معي، فأمسك بعنقي وأخذ يهزني ويصرخ بأعلا صوته، قلت له : أيها اللص . . . . !!

---

120) انظر : مجلة هنا لندن (ص 15) عدد 262 السنة الحادية عشر.

وارتفع صوته إلى درجة أن الناس تجمعوا حولنا وظنوا أنني ـ أنا ـ المقصود بهذه البهذلة !!
وتقدم بعض أولاد الحلال من المارة محاولين إبعاده عني !! (121)

(27)

مر الشعبي على خياط، فقال له : عندنا راقود قد انكسر (يعني قلة) أحب أن تخيطه ؟!
فقال له الخياط : ائتني بخيوط من ريح ، وأنا أخيطه ! (122)

(28)

دخل عبد المسيح بن عمرو ـ(123) وكان نصرانيا ـ على خالد بن الوليد وهو بالحيرة : فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ـ أيها الشيخ ـ ؟
قال : من ظهر أبي !
قال خالد : فمن أين خرجت ؟

---

121 هنا لندن : العدد 262 السنة الحادية عشرة
122 سير أعلام النبلاء 4 / 311
123) ويعرف بابن بقيلة كان من الدهاة وله شعر وأخبار ؛ وهو ابن خالة سطيح الكاهن، توفي نحو سنة 12 ـ انظر : الأعلام 4 / 297 للزركلي.

قال : من بطن أمي !
قال : فعلا مَ أنت ؟
قال : على الارض !
قال : ففيم أنت ؟
قال : في ثيابي !
قال : أتعقل ؟
قال : والله، وأقيد . . !
قال : ابن كم أنت ؟
قال ابن رجل واحد !!

قال خالد : مارأيت كاليوم . . أسالك عن الشيء وتنحو في غيره !!(124)

(29)

وقال رجل لثقيل : كم تعد ؟ قال : من واحد إلى ألف . .
قال : لم أرد هذا . . قال : فما أردت ؟
قال : كم تعد من السن ؟ قال : اثنان وثلاثون : ستة عشر من أعلا، وستة عشر من أسفل !
قال : لم أرد هذا . . قال : فما أردت ؟!

---

124) البيان والتبيين 2 / 151

قال : كم لك من السنين ؟ قال : ما لي منها شيء . . كلها لله !

قال : فما سنك ؟ قال : عضم !

قال : فابن كم ؟ قال : ابن اثنين : أب وأم !

قال : فكم أتى عليك ؟ قال : لو أتى علي شيء لقتلني !

قال : فكيف أقول . . ؟ ! قال : قل : كم مضى من عمرك ؟

(30)

وروى الشعبي يوماً أن النبي ﷺ قال : «تسحروا ولو أن يضع أحدكم أصبعه على التراب ؛ ثم يضعه في فيه»

فقال رجل ثقيل : أي الأصابع؟

فتناول الشعبي إبهام رجله، وقال هذه . . ! (الإبهام) ؛ هي : أكبر الأصابع .

(31)

وكان إمام يصلي بالناس ؛ فحدث له ما أوجب له أن يستخلف، فاستخلف رجلا ثقيلا. فوقف ذلك الرجل مكان الإمام طويلا . .

فلما مل الناس سبحوا له، وهو لا يتحرك ؛ فأخروه، وقدموا غيره . . ثم إنهم لاموه على ما فعل ؛ فقال : ظننت أن الإمام أراد أن أحفظ له مكانه حتى يرجع !

(32)

كان لبعض الأدباء ابن أحمق وثقيل، وكان كثير الكلام . . فقال له أبوه ـ ذات يوم ـ : لو اختصرت كلامك ؟ قال : نعم.

فأتاه يوماً ؛ فقال : من أين أقبلت يا بني ؟ قال : من سوق.

قال : لا تختصرها ـ هنا ـ زد الألف واللام.

قال : سوقال !

قال : قدم الألف واللام

قال : ألف لام سوق !

قال : وما عليك لو قلت : السوق ؟!

(33)

وقال هذا الابن لوالده يوماً : اقطع لي جباعة. قال : وما جباعة ؟!

قال : ألم تأمرني أن أختصر الكلام ؟! أعني جبة ودراعة !

(34)

وحكى الثعـالبي أن رجلاً سأل ثقيلاً عن «الغسلين» في كتاب الله ؟

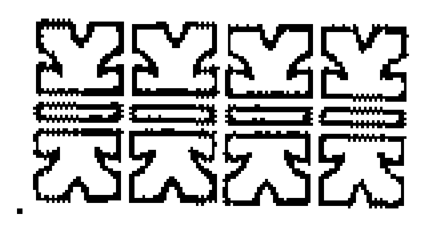
فقال : على الخبير سقطت ؛ سألت عنه شيخنا (فقيها من أهل الحجاز) فما كان عنده قليل ولا كثير !! (125)

(35)

وقف ثقيل بباب داره يوم الجمعة، والمطر غزير ؛ فقال لرجل من المارين : ياأخي . . هذا الذي ينزل . . مطر ؟!

فقال له : أما ترى ؟!

فقـال : أردت أن أقلد غيري في تخلفي عن الجمعة ولا أعمل بعلمي !



---

125) الغسلين : هو ما يسيل من صديد اجساد المعذبين - انظر : غريب القرآن 484 لابن قتيبة - وقد ورد ذكره في سورة الحاقة 36 (ولا طعام إلا من غسلين).

محتويات الرسالة

صفحة

أصناف من الثقلاء :



أصناف من المستثقلين :

